

قصة

قضية  
وموقف

# شؤون

د. ثابت الأحمدى





---

قصة  
قضية  
وموقف

# نشوان

د. ثابت الأحمد

اسم الكتاب: نشوان ، قضية وموقف  
المؤلف: د. ثابت الأحمدى  
الناشر: وزارة الأوقاف والإرشاد - الجمهورية اليمنية  
العاصمة المؤقتة عدن  
أمام مبنى الأمانة العامة لمجلس الوزراء  
awqaf.yemen1@gmail.com

المقاس: ١٧ في ١٢

عدد الصفحات: ٤٨

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب: ٣٧/٢٠٢٢

الطبعة الأولى: مايو ٢٠٢٢ م.

---

إنَّ قِيَمَةَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ قِيَمَةٍ مَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَقِيَمَةُ الْكَلِمَةِ مُتَّصِلَةٌ بِالْإِنْسَانِ  
أَوَّلًا وَآخِرًا، وَمِنْ هُنَا يَأْتِي اهْتِمَامُنَا بِالْكَلِمَةِ، كَرِسَالَةٍ، وَالْكَلِمَةُ كَفِكْرَةٍ.  
الفِكْرَةُ جَوْهَرٌ كُلُّ تَحَوُّلٍ فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي حَيَاةِ الْمَجْتَمَعَاتِ  
وَالشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، وَلَمْ تَكُنِ الْبِدَايَاتُ الْأُولَى لِلْحَضَارَاتِ الْكُبْرَى فِي حَيَاةِ  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَّا كَلِمَةٌ أُطْلِقَتْ، أَوْ فِكْرَةٌ صَدَحَتْ، وَلَمْ يَبْدَأْ عِظَمَاءُ التَّارِيخِ  
مَشَارِيْعَهُمُ الْكُبْرَى إِلَّا بِالْكَلِمَةِ وَالْفِكْرَةِ.

محمد عيضة شببيية  
وزير الأوقاف والإرشاد



## البدايات الأولى

يُولدُ المتميزون بجناحين ليطيروا، ومن خُلِقَ ليَطِيرَ يصعبُ عليه أن يزحف، والعكسُ أيضًا صحيح.

هكذا أتخيلُ نشوان بن سعيد بن سعد بن أبي حمير بن عبيد بن القاسم بن عبدالرحمن بن مفضل بن إبراهيم بن سلامة بن أبي حمير الحميري، الذي ينتهي نسبه إلى القيل الحميري حسان بن أبي مرثد<sup>١</sup> والمولود في منطقة «حوث» شمالي صنعاء، وكانت يومها مدينة عامرة بالعلم والتجارة والنشاط الاجتماعي المتنوع. وهي مدينة قديمة تنضح فيها الآثار الحميرية بالشموخ والبهاء؛ بل إن المنطقة كلها منطقة أثرية تاريخية عتيقة، يرجع تاريخها لمئات السنين، ولا يزال

(١) ذكر ذلك في قصيدته الشهيرة «النشوانية» قائلا:

أو ذو مرثد جدنا القيل بن ذي  
وبنوه ذو قين وذو شقر  
سحر أبو الأذواء رحب السّاح  
عمران أهل المكارم وسماح

بعضها قائماً إلى اليوم، على الرغم من التدمير المُنهَج لتلك  
المعالم الحضاريّة من قِبَل الإمامة.

لم يذكر المؤرخون سنة ميلاده، إلا أنها على الأرجح نهاية  
القرن الخامس، أو بداية القرن السادس؛ علماً أنّ كثيراً من  
عُظماء التاريخ لم يُعرف لهم تاريخُ ميلاد، ونشوانُ بن سعيد  
الحميري أحدُ هؤلاء العُظماء.

والدهُ هو القَيْلُ اليمانيُّ الكبيرُ سعيدُ بن سعد الحميري،  
أحد كبار تجار المنطقة ووجهائها، ومنه ورثَ ذلك الإباءَ  
بنفس أبيّةٍ تَأبَى الضيّمَ وتعافُ الغبن، سواء على نفسها أم  
على غيرها، لأنَّ الحُرَّ ذا النفسِ الشريفةِ يتأبى ظلمَ غيره كما  
يتأبى أن يُظلمَ هو على حدٍ سواء.

ثمة مدخلاتٌ عدة تؤثر في صياغة الشخصية الإنسانية  
وتوجيه السلوك، من بينها البيئّة، والبيئة والتعليم، ثم  
«التّحدي» الذي يواجه الإنسان في بيئته، ومن ثم تكونُ  
«الاستجابة» إذا ما استعرنا مصطلح المؤرخ الفيلسوف  
آرنولد توينبي، صاحب الموسوعة التاريخية الشهيرة: دراسة  
للتاريخ، «A study of history». «التحدي والاستجابة».



---

وعلى ضوء هذه الفكرة توقف عند تاريخ الحضارات، متأثراً بعالم النفس التحليلي الشهير كارل يونغ.

وجميعُ هذا المدخلات - إضافة إلى ما سنذكر لاحقاً - كان لها أثرها الإيجابيُّ في تشكيلِ شخصيَّةِ نشوان..

البيئة بما هي بيئةٌ جدلٍ تاريخي، سياسي عريق، يعودُ لمئاتِ السنين..

وبما هي بيئة علميَّة، فيها، أو قريباً منها كان إمامُ اليمن الكبير أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، واضع الموسوعة التاريخية والمعرفية «الإكليل» وصاحب «الدامغة» التي تنوفُ عن ستمئة بيت، وبعض المؤلفات الأخرى في التاريخ والشعر والأراضة والفلك والزراعة والجغرافيا، والتي ضاع أغلبها للأسف، أو تم تضييعه على الأرجح.

أضف إلى ذلك المدرسة المطرفيَّة - وهي الجماعةُ الفلسفية الأولى في المنطقة التي تشكلت هناك، برؤيٍّ معرفيَّةٍ حديثة، قياساً إلى حداثة تلك الفترة، وجزءٌ من تشكُّلها كان ردَّ فعلٍ لتطرفِ الإمامة الهادوية وغلوها في التعصب والتحوصل على الذات الصنميَّة التي أسست لها..!

المطرفيّة التي وضعت البذور الأولى للمعرفة المجردة بمنهجية علميّة جديدة، وناقشت المئات من المسائل العلميّة والفلسفيّة قبل أن تتشكّل حركة التنوير الأوروبي بمئات السنين، وكان يمكن أن تُشكّل هذه المدرسة رافداً علمياً وفلسفياً جديداً للفكر الإسلامي قاطبة، لولا أن سوط الكهنوت الأسود قد قمعها وأبادهها من وقت مبكر، وتعامل مع «هجرها» ومكتباتها كما تعامل التتار مع مكتبة بغداد منتصف القرن السابع الهجري.

ليس المطرفية وحدها من كانت سائدة آنذاك كمدرسة علمية فحسب؛ بل ومدارسُ بقية العلوم والتيارات الأخرى أيضاً، من دينيّة وغير دينيّة، كالصوفيّة والسّلفية «أهل الحديث» والإباضيّة وغيرها.

ولا زلنا نتحدّث عن بيئّة نشوان بما هي بيئّة امتدادٍ حضاري: سبئي، حميري، قريباً منه يقع «البئر المعطل والقصر المشيد» اللّذين أشار لهما القرآن الكريم في سورة الحج<sup>١</sup>. وفي

(١) هو واحدٌ من قصور السبئيين ومحافدها التاريخية التي لا تزال آثارها تشمخ بالعظمة والجلال إلى اليوم وسط الإهمال الذي تلاقيه والنسيان الذي يلفها جميعاً. قال عنه الهمداني: «قد نظرت بقايا مآثر اليمن وقصورها سوى غمدان، فإنه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل الجدار، فلم أر مثل ناعط ومراب وضرير، وناعط الفضل، وهي مصنعة بيضاء مدورة منقطة في رأس جبيل ثنين، =

بيئته وحوها من الجهات الأربع تكتنز كل رابية، ويزخر جُلّ  
سفع بالمآثر التاريخية والحضارية الأصيلة، ذكرها المؤرخون  
تفصيلاً، بمن فيهم الهمداني، ونشوان نفسه.

في بيئة نشوان المنزلية «المصغرة» أولاً تفتح وعيه طفلاً  
على تجارة والده، ووجاهته الاجتماعية، التي عززت فيه ثقته  
بذاته، مُتأملاً كل ما حوله من معالم وملامح هذه المشاهد  
المتنوعة:

= وهو أحد جبال البون، وهو جبل مرتفع مقابل لقصر تلم، وهو جبل في سرّة  
همدان..». وثمة قصور أخرى ملحقة بالقصر الرئيس، تزيد عن عشرين قصراً،  
مع مباني أخرى للحاشية، تحت كل قصر منها صهريج خاص بالمياه التي يحتفظ  
بها، كما أن فيها بقايا الأسطوانات والأعمدة التي يقوم عليها البناء، وتزيد عن  
عشرين ذراعاً طولاً، لا يحضن الواحدة منها إلا رجلان اثنان، لعظم سكمها، فيها  
بقايا الحديد الذي يعتبر أحد مكوناتها، وفيه أيضاً قصر المملكة الكبير الذي كان  
يسمى قصر «يعرق»، ويحف الجميع سور واسع مبني بالحجارة المنحوتة، هو  
من دلائل الملك وشارات العظمة، التي ذكرت في الشعر العربي قديماً. وقد قال  
الهمداني عن هذا القصر شعراً:

ألم تر أن الدهر زلزل ناعطاً	فأصبح مسحول التراب وساقطاً
يككب بعد الشيد سبعين بسطة	لأنقائه عن طفة النبو هابطاً
تعاوره صرف الزمان فلم يدع	من الشيد إلا اسطواناً وحائطاً
فمن يكن ذا جهل بأيام حمير	وأثارهم في الأرض فليات ناعطاً
يجد عمداً تعلق القنا مرمبة	وكرسي رخام حوله وبلائطاً
ملاحك لا ينفذ المساء بينها	ومبهومة مثل القراح خرائطاً
على كرف من تحتها ومصانع	لها بسقوف السطح ليس وقائطاً
كما قال الشاعر علقمة بن ذي جدن متحدثاً عن «لميس»	إحدى أميرات القصر:
ولميس كانت في ذوابة ناعط	يجبي إليها الخرج صاحب بربر
والسامح الملك المتوج بعها	ذو التاج حين يلوئه والمنبر

التاريخ بعراقته..

الجغرافيا بصلابتها..

السياسة بجودها..

المدارس العلميّة بتفرعاتها..

حركة المجتمع بنشاطه..

الهادوية الكهنوتية بتعصبها وتطرفها..!

على يد والده استفتح تعليمه؛ إذ كان والدّه أيضًا عالمًا ومطلعًا على فنونٍ شتى في الأدب والحساب والفلك والأنساب وغيرها؛ ثم في حلقة الجامع الكبير في حوث، وفقًا للطريقة السائدة آنذاك، مع العديد من أقرانه، وأغلبهم من أطفال وشباب من يسمون أنفسهم «آل البيت» الذين أثارهم كثيرًا نبوغ هذا الطالب وتفوقه عليهم، حتى كان مشارًا إعجابٍ شيوخه، ومحل فخر والده؛ بل لقد كان حديث الخاصة والعامة منذ طفولته.

ولأنه بهذه المكانة، وبهذا التميز والنبوغ، فلا بد إذن من أعداء النجاح وخصومة الأقران، لسببٍ، ولغير سبب. هذا

عادةً متكررةً على الدوام..

لطالما سمع نشوان ممن حوله، وقد ذاع صيته: كيف لهذا اليافع أن يتقدم على أقرانه من سلالة آل النبي، أوعية العلم، وحملته، كما يزعمون؟!!

ولكونه تساؤلاً غير منطقي؛ بل غير مشروعٍ أساساً، فكانت ردةُ الفعل أقوى، ولسانُ حاله:  
حتماً.. سأكون ما أريد.

النسبُ والسُّلالة لا علاقة لهما بالعلم.  
العلمُ محصلةُ الجد والاجتهاد والطموح.. فقط.  
وذلك ما أكده له والده يوماً ما:

الناسُ سواسيةٌ يا ولدي. لا عليك. دعك وتحرّصاتِ الأفاكين.

في الصُّباح يذهبُ إلى الجامع مع أقرانه، لتعلّم دروسه في الحلقات العلميّة، وفي المساء يعودُ بنهمٍ شديدٍ للمطالعة في مكتبة والده التي فتح عينيه عليها صغيراً، وفيها قرأ: كُتَبَ الجاحظ بما تشتملُ عليه من معارفَ عامة، وكتب الهمداني،

بما تحتويه من نفائس تاريخية ومعرفية، وموسوعة الأغاني للأصفهاني، بما تكتنزه من دُرر لغوية وأدبية. كما قرأ أيضًا لأبي العلاء المعري، صاحب اللغة الجزلة والفلسفة العميقة، والمعري أديبُ الفلاسفة وفيلسوفُ الأدباء، كما يُلقب. وغير ذلك من دواوين الشَّعر العربي وكتب الفقه والتاريخ والأدب وغيرها. أضف إلى ذلك كتب المهادوية أيضًا، فقد كان لها نصيبٌ بين وقته الثمين.

قرأ هذه الكتب، وهو يتطلع لإكمالِ تعليمه في صنعاء، أو صعدة، حسب النظام السائد يومها، وهي عادةُ كل الأربطة العلميَّة المتقاربة آنذاك، كما هو الشأن مع مدرستي: زيد والمراعة العلميتين في تهامة. كان طلبة اللغة وآدابها في زيد يُكملون تعليمهم في المراوعة، وكان طلبة الفقه وأصوله في المراوعة يكملون فقههم في زيد.

أصبح نشوان شابًا يافعًا مطرورَ الشارب، بهيِّ الطلعة، حاد الذكاء، متوقد الطموح، وصار متشربًا للمبادئ العامة لكل العلوم؛ بل لما بعدها، متمكنًا منها، وبصورة لا نظير لها عند كل أقرانه، بمن في ذلك من يدعون أنهم من حملة

العلم وأوعيته...!

لطالما نظر إليه هؤلاء شزراً، ولطالما رمقهم بعين السخرية،  
مردداً: إنَّ الله لا يجابي أحداً لعِرقه أو سلالته. أليس هو القائل  
في محكم كتابه: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)؟!.

مُضيفاً: خَيْرِيَّةُ الإنسانِ بما يكسبه ويصنعه، لا بما يتوارثه  
من الوهم، والأفضليَّة السُّلاليَّة هي أكبرُ الأوهام. أبونا  
آدم وأُمَّنا حواء، فمن أين أتى الفضلُ لهذا أو ذاك على بقية  
الخلق؟!.

إنَّ وهمَ الأفضليَّة العرقيَّة هي ذاتها الإبليسيَّة اللعينة: (أنا  
خيرٌ منه).

هذا ما أكده له والده، ويؤكدُه أيضاً على الدوام..

وتعززت قناعتُه هذه أيضاً بالحواراتِ التي أسست لها  
المطرفية، بدُّعاتها وشيوخها، والتي بدأت تأخذ في الانتشار  
حينها، وكانت تتبنى ذات الفكرة، وتقول بنفس الرأي.  
الناس جميعاً سواسية.

## الهجرة إلى صنعاء

في ليلة شاتية، وبينما الشاب اليافع نشوان مع أبيه وأمه في مجلسهما؛ إذ بالباب يُطرق، فيخرج سعيد، والد نشوان، متسائلاً: من الطارق؟! وإذ به صديقُه الشيخ علي بن أحمد بن أبي رُزين، أحدُ شيوخِ المطرفيّة وعلمائها الكبار، ويا للفرحة الغامرة التي علتْ مُحْيَا «سعيد»، بهذه الزيارة المفاجئة. ولسانُ حاله: أيزورُنَا الشيخُ الجليلُ الآن هكذا فجأة؟ أية ریح طيبة أتت بك؟!!

أدخله الدارَ، وقدم له ما يلزم تقديمه للضيف الذي أخذ بدوره يتجاذبُ أطرافَ الحديث على سبيل الدعابة مع ذلك الشاب الذي لم يكن قد عرفه من قبل، كما يفعل أي ضيف، فتفاجأ الضيف - وهو عالم وفيلسوف - من نبوغ هذا الشاب وهو بهذا السن، وكان «سعيد» يلحظُ تجاذباتِ الحديث بين ضيفه وابنه من بعيدٍ، أثناء تجهيزه لطعام العشاء.

تناول الجميعُ العشاء، بعدها عرضَ الشيخُ علي بن رُزين على صديقه سعيد أن يصطحبَ هذا الشاب المتميز والنابغة معه إلى صنعاء، في حلقة المشهورة، ينهلُ من معينها ما شاء



---

الله له أن ينهل، ومنها يذهب إلى «وقش»<sup>١</sup>، وهناك سيكمل تعليمه، ليصبح بعدها عالماً مجتهداً في شتى العلوم، كغيره من العلماء النوابغ.

سُرَّ وجه سعيد بهذا العرض الكريم من الشيخ الجليل، مُتَّناً له، وقد أحسَّ بالفخر أن يكون ابنُه النابغة «نشوان» من طلبة الشيخ علي بن رُزين الذي كانت تسبقه شهرته، كما كان حديث الخاصة والعامة؛ أما الشاب فقد تأهب من لحظته للسفر مع الشيخ، وقد استشفَّ بحدسه الذكي طبيعة العلوم التي سيتناولها في الهجرة، وحلق به خياله أي عالم سيكون في المستقبل..! غير آبه بمفارقة أمه وأبيه في أول رحلة له خارج مسقط رأسه حُوث، وهو شعورٌ يصاحبُ أي فتى بسنه في موقف كهذا.

---

(١) وَقَشْنُ، إحدى قرى عزلة بني قيس، في بني مطر، محافظة صنعاء.

## نشوان في صنعاء

في اليوم التالي، عقب صلاة الفجر، وبعد تناول وجبة الإفطار المبكرة التي يعتاد على تناولها الريفيون باكرين كان الفتى قد وضع بعض ثيابه في صرة قماشية صغيرة، بداخلها "عبيبة" صغيرة من الأدم، فيها «الدواة» و «اليراع». ارتدفها، على ظهره، ببعض الخفة، وعليه ملامح السُرور، وحين رآته والدته سرعان ما انهمرت دموعها على خديها بغزارة، ومن ثم هرعت إليه لاحتضانه بقوة، فابنها سيفارقها في غيابٍ قد يطول لأول مرة، ولن تعرف عن حاله خلال فترة غيابه. واستمرت في احتضانه طويلا، فيما الشاب نشوان يبادل أمه ذات القبلات، حتى تدخل الأب وسله برفق من صدرها، وقد رق لحاليهما، فيما كان الشيخ الجليل يطمئنها أنه سيظل بصحبته هو شخصيا، وسيكون منه بمثابة ابنه.

غادر ذلك الفتى اليافع مسقط رأسه «حوث»، بصحبة الشيخ الجليل، تسبقه أشواقه القرمزية إلى صنعاء، حيث

المكتبات العامرة، والجدل المعرفي، وحلقات العلم التي لا تنقطع، وكان قد سمع بها من قبل.

في صنعاء الحضارة والتاريخ شاهد ما لم يشاهده في حوث بطبيعة الحال، فهي المدينة التاريخية العريقة، وهي قصبه البلاد الدائمة، كما أنها محط التجارة ومهبط الرحالة والمسافرين على الدوام، وفيها الجامع الكبير بأروقته المتعددة وحلقاته المتنوعة قبل أن يحتكرها غلاة الهادوية.

والتحق الشاب بحلقة الشيخ علي بن رزين، كما سكن معه أيضًا في نفس سكنه، وكان منه بمثابة ابنه؛ فدرس على يده علوم الدين واللغة والبيان والعروض، وعلوم الأديان الأخرى وفلسفاتها. وأثناءها اكتشف فيه شيخه أنه شاعر مطبوع، ذو لغة متدفقة، فشجعه على قرص الشعر، وعلى أدب المناظرات. كما أفاده أيضًا في علم العروض والقوافي. وفي تلك الحلقة، والجامع بشكل عام تفاجأ ببعض أقرانه الطلبة من يحملون نفس فكرة أقرانه السابقين في حوث، ممن يدعون أنهم من سلالة النبي المفضلين على غيرهم، غير أنه واجههم، مقارعًا إياهم بالحجة والمنطق، وبروح معنوية عالية، أكثر مما كان سابقًا؛ لاسيما وقد زاد علمه أكثر، على

الرغم من صغر سنه.

في تلك الأثناء لطالما كان يردد عليهم:

لا يوجد سيدٌ وعبدٌ بالخلق يا أصدقائي..

كلُّ مخلوقٍ في هذا الوجودِ هو سيدٌ نفسه، وعلى من يسوسُ فقط؛ أما سيدٌ بلا سيادةٍ فهذه لا تعدو أن تكونَ خرافة من الخرافات.

يا للمهزلة..!

سيدٌ لأنه من سلالة ما؟!..!

هذا يُخالفُ العقلَ والنقلَ؛ بل وقوانينَ الحياة.

مُرددا عليهم على الدوام: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو سيد الخلق يقول: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف: ١١٠.

في صنعاء استزاد – بصورة ملحوظة – من علوم أهل السنة، وتشرها كغيرها، كما اطلع على مزيدٍ من الكتب التي لم تتوفر في مكتبة الجامع الكبير في حوث، أو في مكتبة والده. وإضافة إلى ذلك عملٌ نساخًا في سوق الوراقين، القريب من

---

الجامع الكبير، فأجاد النظم والسبك والخط، حتى مهرَ في ذلك.

كان نشوان شعلة متوهجة من الجِد والنشاط والعمل الدؤوب..

وكان أقرانه يندهشون لهذا الفتى القروي القادم من خارج صنعاء، أي روح مندفعٍ يملك؟ وأي همّة عالية يتميَّزُ بها؟ فلا يكُل ولا يَمَل.

تارة مع الشيخ في الحلقة، وتارة في رواق الجامع يُطالع، وتارة في المناظرات مع أقرانه، وتارة أخرى في سوق الوراقين. في الجامع الكبير، وأمامه كلُّ الكتب من كل المذاهب، لم يكن يقتصر على فنٍّ من الفنونِ دون غيره، ولم يكن يتشبث بمذهبٍ مُعينٍ دون سواه، ليتحوصلَ فيه، كما يفعلُ بعضُ أقرانه؛ بل كان يتنقلُ في قراءته من فنٍّ إلى فنٍّ، ومن مذهبٍ إلى مذهبٍ، جامعاً بين كل الآراء والمذاهب، فيخرج بالدليل الراجح، وفق ما هداه إليه اجتهاده، حتى صار حديثَ الجميع هناك بصنعاء، شيوخاً ومريدين.

القراءةُ المتنوعة والمتعددة تفتح الآفاق أكثر، وتجعل القارئ

مُلَّمًا بِأفكارِ الغير، مَطْلَعًا عَلَى ثقافتهم؛ أما المذهبيَّة والاقْتِصَارِ  
عَلَى فِكْرٍ مُعَيَّنٍ فَهُوَ قَيْدٌ فَوْلاذِيٌّ لِلْعَقْلِ وَالْفِكْرِ..!  
وَهَلْ يَقْبَلُ الْعَاقِلُ أَنْ يَتَمَّ تَقْيِيدَ عَقْلِهِ؟!

فِي ذَلِكَ الْجَوِّ الْعِلْمِيِّ الْخَالِصِ، تَعَرَّفَ إِلَى شَخْصِيَّاتٍ كَثِيرَةٍ  
مِنْ مُخْتَلِفِ الْمَذَاهِبِ؛ سِوَاءَ مَنْ أَهْلُ صِنْعَاءٍ، أَمْ مِنْ غَيْرِهِمْ.  
أَنْصَتَ أَمَامَهُمْ، وَأَصْغَوْا إِلَيْهِ. تَبَادَلُوا الْأَرَءَ الْمُتَبَايِنَةَ، وَالْأَفْكَارَ  
الْمُتَنَوِّعَةَ، حَتَّى كَادَ يَنْسَى أُمَّهَ وَأَبَاهُ وَأَقْرَانَهُ فِي حُوثٍ، وَقَدْ  
تَمَاهَى مَعَ هَذَا الْجَوِّ الْعِلْمِيِّ الْخَالِصِ.

لَا عَجَبَ، فَطَالِبُ الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْ عِلْمٍ مَهْمَا كَانَ.  
يَا لِهَذَا الطَّمُوحِ السَّامِقِ الَّذِي لَا يَشَابَهُهُ إِلَّا سُمُوقُ جَبَلِ  
"غِيَّانِ" الَّذِي يَسْكُنُ هُوَ أَسْفَلَهُ.

## نشوان في وقش

أكمل نشوانُ تعليمَه في حلقاتِ الدرسِ العلمي في الجامع الكبير بصنعاء، ونهلَ من علمِ شيوخها، ومن صفحاتِ مكتبة الجامع الكبير، حتى بدا له أنه قد صارَ شيخاً، أو في حكم درجةِ شيوخ الجامع، وبالتالي فلا بدَّ من الرحيل إلى «هجرة وقش»، وأي هيبةٍ علميةٍ وفلسفيةٍ هي وقش يومها؟! بتوجيهاتِ شيخه علي بن رزين، انتقل إلى تلك الهجرة، ذات الصَّيتِ المهيب، ولم تكن أشواقُه وتطلعاتُه إليها تقلُّ عن أشواقِه الأولى حين انتقل من حوث إلى صنعاء سابقاً.

«وقش» هي الأكاديمية الكبرى التي يختتمُ بها المتعلمون تعليمهم، فشيوخها هم شيوخُ الشيوخ، ومريدوها في غالبهم من المتميزين القادمين من مختلف الأصقاع، والذين حازوا على تعليمٍ معقولٍ قبل أن يدخلوها، وعددهم بالمئات، متوزعين على عُرفٍ سكنية عديدة، وتجري عليهم «الجرية» السنوية والشهرية من الأكل والشرب والملبس والدواء، وأيضاً الرقابة والمتابعة، وعدم السماح لأي طالبٍ بمغادرتها إلا بشروطٍ صارمة؛ أمّا مناهجها وكتبها فهي غيرُ ما اعتاده

بعضُ الفقهاء التقليديين في بعضِ الأربطة الأخرى، متأثرين بأصولِ علم الكلام المعتزلي في مدرسته البغدادية، بزعامة أبي القاسم البلخي؛ ناهيك عن الشُّروطِ الصَّارمةِ في الإجازة التي يتحصَّلُها المريد، والمتعلقة ببعضِ السُّلوكِ العملي الذي تشترطُ عليه الهجرة، كالاختلاء والتأمل والزهد والتبُّتُ والرحلات والعيش الخشن، وغير ذلك من الرياضاتِ الروحيَّة.

هذه ميزةٌ فريدةٌ تميّزت بها هجراتُ المطرفية، ربطا للعلم بالسلوك.

ما تجدرُ الإشارةُ إليه هنا هو أنّ المطرفية قد ركزتُ في سياستها التعليميَّة على الاهتمام بأبناء العامة من الناس، وأولتْهم اهتمامها بصورةٍ خاصَّة، وبالبنات أيضا، حتى نبغتُ شيخاتُ علم من النساء، ممن تعلمن، وعمِلن في تلك الهِجر؛ وكانت الطالباتُ يدرسن جنبا إلى جنبٍ مع زملائهن الطلاب، سواء على يد الشُّيوخ أو الشَّيخات.

نتحدثُ الآن عن المطرفيَّة اليمينيَّة، لا عن أروقةِ "المشائين" في أثينا.

(١) أي أكل النباتات فقط، دون اللحوم، وهي فلسفة قديمة عند جميع الأديان.



كانت هذه الجماعة ستغيّر وجه اليمن لو كتب لها البقاء،  
ولم تُقمع في مهدها.

ليس اليمنُ فحسب؛ بل والمنطقة كاملة.

تذكرُ بعضُ المصادرِ التاريخيّة أنّ نشوان بن سعيد الحميري  
نفسه قد تزوج شيخته رقية بنت الحسين البحيري، وكانت  
أكبرَ سنًا منه.

كما اهتمت المطرفيّة أيضًا بالدعوة للسلم، ونبذ العنفِ  
والحروب التي كانت الإمامةُ قد أشعلتها بين كثيرٍ من  
القبائلِ آنذاك.

في تلك الهجرة تعلم على يد العديدِ من شيوخ العلم الكبارِ  
وشيخاتها من النساء، كما استزاد من علوم المنطق والفلسفة  
والتصوف والفلك والأديان والهندسة والجبر، وغيرها. وكان  
عالمًا في صورة متعلم، شاعرًا مصقعاً وخطيبًا مفوهًا، وفيها  
أكمل تعليمه، وأصبح علامة الزمان والمكان.

هذه هي المعطيات الأولى والبدايات التي تشكلت منها  
الشخصية النشوانية، والتي أصبحت رمزًا من رموز اليمن،  
وعلمًا من أعلامها الخالدين. وهكذا يبدو حاله. وكأنها أشار

إليه الشاعرُ محمود سامي البارودي في قوله:

وَمَنْ تَكُنِ الْعُلَيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُجَبَّبٌ  
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَّيْ خَالٌ وَلَا ضَمَنِّي أَبُ

هذه هي المطرفيّة بهجراتها المتعددة، ومناهجها العلميّة التي أبادها السّفاح عبدالله بن حمزة، وجعلها أثرًا بعد عين، في أسوأ عملية إبادة علمية، لا تماثلها إلا همجية المغول مع مكاتب بغداد منتصف القرن السابع الهجري. وهو دأب الكهنة والسفاحين الذين يخشون العلم والمعرفة في كل زمان ومكان.

## تنقلاته

بتخرجه من هجرة «وَقَش» التي أمضى فيها بضع سنوات، يكونُ نشوان بن سعيد الحميري قد تزوج، ثم شرع في التصنيف والتأليف، ومن ثمّ أصبح عالماً كبيراً، مشهوراً في مختلف الأصقاع، على طول اليمن وعرضها.

عاد إلى الجامع الكبير شيخاً لعلوم اللغة والبيان، لمدة أربع سنوات متتالية، يتحلّق حوله الطلبة من مختلف الأماكن، ناهلين من علومه الغزيرة وفكره المستنير؛ ليرحل بعدها إلى مناطق اليمن الأسفل في كل من إب والجند، ثم زيد التي استزاد فيها من علوم مذاهب أهل السنة وما يتعلق بها. وشهرة زيد حينها تفوق شهرة الجامع الكبير بصنعاء، حيث كان يفتد إليها طلبة العلم من مختلف أصقاع اليمن؛ بل ومن شرق أفريقيا والهند وشرق آسيا. يعود بعضهم إلى بلاده، فيما يبقى آخرون فيها؛ كون مدينة زيد آنذاك مدينة العلم والعلماء، وكونها أيضاً من أغنى مدن اليمن وأجلها، كما وصفها ابن الجاور في رحلته.

ولعلّ تنقلاته هذه هي من تأثير المطرفية التي تجعل

من السّياحة والرحلات والتأمل والاختلاء طريقة علميّة إضافية، للاستزادة من المعرفة من هذه الطريق، خاصّة في نهاية الطلب، والتي تفتح للطلبة من الآفاق ما يمكنهم من استكشاف عوالم جديدة، لم تكن تخطر على بالهم من قبل، إضافة إلى كسر شهوات النفس، وقمع نزواتها. وإلى هذا أشار الإمام الشافعيّ قديماً، بقوله:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا

وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجِ هَمٍّ، وَاكْتِسَابِ مَعِيشَةٍ

وَعِلْمٍ، وَآدَابٍ، وَصُحْبَةِ مَا جَدِ

وتعتبر الرحلة من مصادر المعرفة لدى فلاسفة التربية القدماء والمحدثين.

## عودته إلى صنعاء

اضطربت الأحوال السياسيّة في صنعاء سنة ٥٣٢هـ، وأغلب سنواتها مضطربة آنذاك، بين صديقين لنشوان، هما الإمام أحمد بن سليمان من نسل يحيى حسين الرسي الذي أعلن نفسه إماماً من جهة، وبين السلطان حاتم بن أحمد الياامي، سلطان صنعاء وحاكمها من جهة أخرى، وكان أحمد بن سليمان ينازع اليااميّ شرعيّته في حكم صنعاء.

سعى نشوان في البداية للتوفيق بينهما، إلا أنه لم يتوفق في ذلك، ففي الوقت الذي كان أحمد بن سليمان يتظاهر بالتصالح مع خصمه الياامي كان في السرّ يُحرّض أتباعه من القبائل على غزو صنعاء، وفعلاً كانت له الغلبة بتلك الجموع القبليّة التي حشدها، وأباح لهم صنعاء؛ إذ دخلها كما يدخل الغزاة، فقتل واستباح وخرب وسبى، حتى أربع الناس بأفعاله الشنيعة هذه. وهي سياسة قديمة/ جديدة للإمامة منذ ذلك الزمن وإلى اليوم..!

## دعوته

أسرف ابنُ سليمان في الدم والقتل كعادة آبائه وأجداده المنتقمين، وكعادة من بعده من سلالته أيضاً، وهو ما يسقط عنه شرعية الحكم، كمجرم قاتل وسفاح، فأعلن نشوانُ نفسه إماماً للناس في خولان بن عامر بصعدة، وتحديدًا في «وادي صَبْر» منها..

ولم لا؟!!

فهو ابنُ قَيْلٍ من كبارِ أقبالِ اليمنِ وتجارها. وهو العالمُ العَلْمُ الذي تسبَّقه شهرتهُ حيثما اتجه، وأينما حل.

وهو مستوفٍ شروطِ الإمامة التي تنصُّ عليها كتبُ الفقه الإسلامي.

وهو كذلك محل رضا غالبية الناس الذين عرفوه أو سمعوا عنه.

كاد نشوان بدعوته هذه يمثلُ إنقاذًا لليمن من نيرِ وكهنوتِ

---

النظرية الهادية التي توطدت أكثر أيام أحمد بن سليمان المجرم الذي دام حكمه ثلاثة وثلاثين سنة، وبضعة أشهر.

ولو أنّ النخبة القبلية والاجتماعية آنذاك ساندت الإمام نشوان بن سعيد ضد الطاغية أحمد بن سليمان لكانت موازين المعادلة قد تغيرت في اليمن إلى يومنا هذا، ولتوقف حكم الكهنوت الإمامي في تلك الفترة، ولن يتمدد إلى اليوم، كما فعل المصريون في نفس الفترة مع الأيوبيين ضد الفاطميين من الشيعة الإسماعيلية الذين أنقذوا مصر من حكم الكهانة وإلى اليوم، فسقطت الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧هـ. أي عقب وفاة أحمد بن سليمان بسنة واحدة، وقد قامت عليهم عشرات الثورات المصرية حتى أسقطوها نهائياً. هذا ما لم يتيسر لليمن، وأيضاً للعراق، فنالهما من الدمار والنكال ما لم ينل أي شعب في المنطقة كلها، ولا يزال، بفعل توحيش هذه السلالة التي ترى أحقيتها في الحكم، أو تتبع خيار «شمشون» مع الأمة والشعب.

على أية حال.. توجس أحمد بن سليمان من تحلق الناس حول نشوان، وهاله تلك السمعة الحسنة، والصيت الذائع،

فبدأ يقلل من شأنه، على معرفته به عن قرب، فبينهما قرابة عائلية، من جهة الأم، كما تذكر المصادر التاريخية، مثبطا من قدره أمام الناس بأكبر عيبٍ يمنعُ عنه الإمامة، كما يرى، وهو أنه لا ينتمي للبيت الهاشمي!!..

ليس هذا فحسب؛ بل لقد اتهمه في دينه، بأنه يهودي، كما قال:

نشوانٌ شيعيٌّ إذا ناظرته      وإذا كشفت قناعه فيهودي  
فرد عليه نشوان:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي إِنِّي  
مُظَهَّرٌ مِنْ مَذْهَبِي مَا أُبْطِنُ  
مَذْهَبِي التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ الَّذِي  
هُوَ فِي الْأَرْضِ الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ  
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ الَّذِي  
هُوَ أَتَقَى النَّاسِ وَالْمُؤْتَمَنُ  
كَائِنًا مَنْ كَانَ لَا يَجْهَلُ مَا  
وَرَدَ الْفَرَضُ بِهِ وَالسُّنَنُ



مضيفا بشأنه وإمامته:

عجائبُ الدهرِ أشتات وأعجبُها

إمامةُ نشأتُ في ابنِ الحُذَيرِيف<sup>١</sup>

ما أحمد بن سليمان بمؤتمن

على البرية في خيط من الصوف

انطلتُ خدعةُ الأفضليّة على العامة من الناس الذين ناصرُوا  
ابن سليمان، وهي فكرة دخيلة على الفكر الإسلامي، وعلى  
المنطق الإنساني أساساً، ولم يقف مع نشوان غير المطرفية،  
شيوخاً وتلاميذاً وأتباعاً، إلا أنهم قلة مستتيرة، قياساً إلى  
غيرهم، فرجحت كفةُ ابن سليمان بالتحشيد القبلي، ومع  
رجوح كفته إلا أن نشوان ظل يحاربُ هذه الفكرة الزائفة،  
شعراً ونثراً:

حَصَرَ الإِمَامَةَ فِي فُرَيْشٍ مَعَشْرٍ هُم بِالْيَهُودِ أَحَقُّ بِالْإِلْحَاقِ

جَهَلًا كَمَا حَصَرَ الْيَهُودُ ضَلَالَةً أَمْرَ النُّبُوَّةِ فِي بَنِي إِسْحَاقِ

وأعابَ نشوان على خصومه الهادوية تعصبهم لإمامهم

(١) - لقب اشتهر به والد أحمد بن سليمان من طفولته، لضخامة أطرافه عن بقية جسده. ويتخذف: يتخبط في مشيته.

الأول يحيى حسين الرسي، حد التقديس له، وهو الطاغية  
الأول في اليمن، مُعرضين عن الأدلة الصّحيحة من القرآن  
الكريم والسنة النبوية، يقول:

إذا جادلتُ بالقرآنِ خصمي أجابَ مجادلاً بكلامِ يحيى  
فقلت له: كلامُ الله وحيٌّ أتجعلُ قولَ يحيى عنه وحيًّا؟!  
مؤكدا:

آل النبي هم أتباع ملته

من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته

صلّ المصلي على الطاغي أبي هب

وفي مواصلة منه لدور الهمداني في الانتصار ليمنيته على  
أدعياء الكهنوت، فقد نظم قصيدته الشهيرة «النشوانية»  
التي تُعتبر بمثابة «الدامغة» بعد دامغة الهمداني، وفي هذه  
الملحمة أشادَ بمناقب قحطان، وأمجاد اليمنيين، في طريق  
استعادة المجد السليب، وضمن مناوئة كهنة الإمامة فكريًا،  
ومطلعها:

---

الأمرُ جدُّ وهو غيرُ مزاح

فاعمل لنفسك صالحًا يا صاح

كيف البقاء مع اختلاف طبائع؟

وكرور ليلٍ دائمٍ وصباح

الدهر أنصحُ واعظُ يعظُ الفتى

ويزيدُ فوق نصيحة النَّصَّاح

وفيهما مفتخرًا بحضارة اليمن وملوكها:

مِنَّا التَّبَاعَةُ الْيَمَانُونَ الْأُولَى

ملكوا البسيطة سَلْ بِذَلِكَ تُخْبِرِ

مِن كُلِّ مَرْهُوبٍ اللَّقَاءُ مُعَصَّبِ

بالتاجِ غَازٍ بِالْجِيُوشِ مُظْفَرِ

تعنو الوجوهُ لسيفه ولرُمحه

بعدَ السُّجُودِ لِتَاجِهِ وَالْمِغْفَرِ

يَا رَبِّ مَفْتَخِرٍ وَلَوْلَا سَعِينَا

وقيامنا مع جدّه لم يَفْخَرَ

وخلافة الخلفاء نحنُ عمادها  
 فمتى نهم بعزل والٍ نَقْدِرِ  
 وبكرهنا ما كان من جهالنا  
 في قتلِ عثمانٍ ومصرعِ حيدرِ  
 وإذا غضبنا غضبةً يمنيةً  
 فطرت صوارمنا بموتِ أحمِرِ  
 فغدت وهادُ الأرضِ مُترعةً دمًا  
 وغدت شِباعاً جائعاتُ الأنسُرِ  
 وغدا لنا بالقهرِ كُلُّ قبيلةٍ  
 خولاً بمعروفِ يزينُ ومُنكرِ  
 وإنّاخه الضيفان فرصُ عندنا  
 يلقي به الولدانُ كلُّ مُبشِرِ  
 لقد كانت بطونُ الإمامةِ مختلفة متصارعة فيما بينها؛ لكن  
 حين صدعت دعوةً نشوان بالإمامةِ على أساس الكفاءة

---

لا السُّلالة تجمعتُ هذه البيوتات بقضها وقضيضها ضده،  
تاركين خلافتهم العائليّة وراءهم، وذلك لإسقاطِ دعوةِ  
نشوان، ذات المنزع الوطني القحطاني الخالص الذي سيُنهي  
معه حُكم الكهنوت. وهي طريقة سارَ عليها أحفادُهم من  
بعد ذلك، كما رأينا في أزمنة متتالية؛ بل كما نرى اليوم.

إنّ المشكلة تبدو واحدة في جوهرها في القديم والحديث..  
طغمةٌ من الكهنة يتحكمون، وقطيعٌ من الجهلة يتحشدون،  
هذا ما واجهه نشوان قديماً، ويواجهه "نشوانيو" اليوم  
أيضاً..!

## نشوان والرحيل القسري

حين يحكمُ الطغيان أو يتحكمُ فلا مكانَ للعلماءِ والمفكرين  
والمصلحين الدينيين والاجتماعيين معه. يقمعُ الطاغية -  
أي طاغية - كلَّ صوت، ويقتلُ كلَّ معارض، يجسُّ العلماء  
ورجالاتِ الفكر وحملة الأقلام، فهم على حُكمه أخطرُ من  
الجيوش حدَّ توهُمِهِ.

وهذا هو تاريخُ الإمامة قديمًا وحديثًا، باختصار..

الناسُ تحت حُكمهم ما بين متشردٍ ومقتولٍ ومعتقلٍ  
وخائفٍ يترقب، سُنَّة يتوارثونها خلفًا عن سلف. ولطالما  
قرأنا عن المناحاتِ والمآسي التي خلفها حكام بيت حميد  
الدين في النصفِ الأول من القرن العشرين، حين كانت  
شرق أفريقيا ملجأً لآلاف منهم، تاركين ديارهم وأهلهم  
وراءهم؛ بل كما نرى اليوم واقعًا عمليًا مع النسخة الإمامية  
الجديدة. ففي قصائد «غريبان وکانا هما البلد» للبردوني، و  
«البالة» لمطهر الإرياني، و «غريب على الطريق» لمحمد أنعم  
غالب تاريخ من المآسي والكوارث التي حلت على شعبنا.

ضاق الخناق على نشوان بن سعيد الحميري، على الرغم من مكانته العلميّة والاجتماعيّة، وأصبحت حياته في خطر، على الرغم من صلة القرابة التي تجمعُه بالإمام الغشوم، أحمد بن سليمان، إلا أنّ هذه القرابة لا وزن لها في حقيقة الأمر عند من أَلَفَ منظر الدم والقتل. وما تاريخ الإمامة غيرُ الدم والقتل والاعتقال؟!

توجه نشوان إلى مارب، بعد أن راسله أهلها يطلبون منه المجيء إليهم، وقد علموا من أمره مع سلالة الرسي ما علموا.

استجاب لهم، ومكث فيهم برهة ثم غادرَ إلى «بيحان»، وفيها استقرّ فترةً يسيرة، وقد نصّبهُ أهل هذه المنطقة حَكَمًا بينهم في بعض خلافاتهم القبليّة، كوسيطٍ، لا مصلحة له في الصّراع القائم، كما هي عادة القبائل في التحكيم.

ولم يطل به المقام كثيرًا في بيحان؛ إذ غادرها إلى حضرموت، ونزل ضيفًا على السُّلطان راشد بن محمد بن شجيعة، في «تريم» وكان هذا السلطان على قدرٍ عالٍ من الكرم والنبيل والتأدب أيضًا، ويُنزل الناس منازلهم، ومجلسه عامرٌ بالعلم والأدب والفكر، كعادة الخوارج الإباضية الذين يهتمون

بالاشتغال بالعلم بصورة ملحوظة عن غيرهم، ثم إنَّ الإباضيَّة لا يقولون بفكرة الأفضلية لأحد على غيره. الناس عندهم سواسية أيضا.

في «تريم» الغناء من حضرموت لم يطلَّ به المقامُ أيضًا أكثرَ من سنة، فقرر العودة إلى بلده حوث، وودعه السُّلطان ابن شجيعة، محفوفًا بالإجلال والاحترام، ومصحوبًا بما خفَّ وزنه وغلا ثمنه من الهدايا والمال، وأيضًا الكتب التي لم يطلع عليها من قبل، ومعلوم ما ذا يعني الكتاب للعالم النَّهم الذي لا يشبع من العلم.

وفي هذه الأثناء كان قد مال إلى الزهد والمطالعة في الكتب أكثر، ولم يعد لديه طموحٌ للإمامة، بعد أن أدرك طبيعة جهل الناس من حوله، واستغلال الإمامة لهذا الجهل المطبق في التحشيد والمواجهة، وأيضا نصيحة صديقه سلطان حضرموت «ابن شجيعة»، وهو الرجلُ الحكيم الذي نصحه بعدم إعلان نفسه إمامًا معرفته بحقيقة الوضع القائم، وإن كان يراه أهلا لها.



---

## قطاع الطريق

في طريق العودة من حضرموت نحو صنعاء، وفي مارب تحديدًا اعترضت طريقهم مجموعة من قطاع الطرق من القبائل، الذين اشتبكوا مع مرافقيه، ولم يجد مرافقوه بُدًا من مقاومتهم، ولكن كانت الغلبة لقطاع الطريق الذين استأثروا بما معه من المال؛ بل قتلوا بعض مرافقيه، كما أصابوا ابنه «جعفر»، أحبَّ أبنائه إليه. وواصلَ عودته إلى بلدته حُوث، ولم يعدْ له إلا البقية الباقية مما بقيَ له على لصوص الطرق.

## وفاته

شكّلت له حادثَةُ التّقطّع والسّلب مأساة نفسية لم يندمَلْ جرحُها، وفي هذه الفترة كان قد تقدّم به العمر، حتّى خصمه السّياسي الكبير أحمد بن سليمان كذلك، تهدّلت أجفانه وأصيب بالعمى آخر حياته، فنفرَ منه أقربُ الناسِ إليه، ومات وحيداً سنة ٥٦٦هـ. ويُقالُ أنّ نشوان تصالّح معه، كما تصالّح مع آخرين من خصومه القدماء، وظلّ لزيمة داره وكتبه وأقلامه في «حيدان» من بلاد صعدة التي انتقل إليها من حوث، حتّى توفي فيها أو آخرَ ذي الحجة من سنة ٥٧٣هـ، وفيها دفن، ولا يزالُ ضريحُه مشهوداً مزوراً إلى اليوم، وإلى جوار قبره أربعة قبورٍ أخرى، يُعتقد أنها قبورُ ابنيه سعيد وعلي، وأختيهما.

وعلى هذا المرقد وقف الإمام الهادي عز الدين الحسن المؤيدي على قبره يوماً، وأنشد:

يا قبرَ نشوان لولا النّصْبُ فُتّت على

من كان من علماء العُربِ والعجم

## نشوان روح خالدة وفكر متجدد

نعم.. مات نشوان جسداً؛ لكنه بقي حياً خالداً في ذاكرة الأمة اليمنية جيلاً بعد جيل، بفكره وعلمه ومواقفه السياسيّة ضد أسوأ طغمة كهنوتية جنت على اليمن واليمنيين الويلات، ولا تزال.

رحل نشوان، وتخلّق بعده ألف نشوان، وها نحن نرى اليوم آلاف النشوانيين الجُدد المُحتدين طريقه، والسالكين نهجه، كما هو الشأنُ مع أبي الأحرار، محمد محمود الزبيري، قتل الأئمة الزبيريّ؛ لكنهم بقتله خلقوا ألفَ زبيريٍ آخر، على امتدادِ ربوع اليمن، ولا تزال هذه البلاد ولادةً بالعظماء الأبطال الذين لم يستكينوا أبداً لبطش الكهنوتِ الأرعن.

حقاً.. المواقفُ الوطنيّة الصادقة هي التي تخلدُ الناسَ أمواتاً أكثر منهم أحياء، وما أصدقُ وطنيّة نشوان وحبّه لبلاده، وانتائه ليمنيته..!

نعم.. رحل نشوان العالم والمفكر والأديب والمجاهد،

مخلفاً وراءه موسوعة علمية هائلة في مختلف فنون العلم، هي:

– رسالة الحور العين وشرحها، المطبوع تحت عنوان “الحور العين”.

– النشوانية أو القصيدة الحميرية وشرحها، المطبوعة تحت عنوان “ملوك حمير وأقيال اليمن”.

– شمس العلوم، وهو أبرز مؤلفاته، وقد تم تحقيقه في اثني عشر مجلداً.

– التبصرة في الدين للمبصرين، في الرد على الظلمة المنكرين، جاء ذكره في كتاب طبقات الزيدية الصغرى ليحيى بن الحسين في ترجمته لنشوان.

– التبيان في تفسير القرآن، ومنه أجزاء متفرقة في كل من مكتبة صعدة، وفي مكتبة الأمبروزيانا، وفي مكتبة جامعة توبنجن، وفي المكتبة الوطنية في فيينا، وفي مكتبة برلين الغربية.

– التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض، وهو في جزأين.

- 
- صحيح الاعتقاد وصريح الانتقاد.
- الفرائد والقلائد، منه نسخة في مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء.
- مسك العدل والميزان في موافقة القرآن.
- بيان مشكل الرويِّ وصراطه السويِّ.
- ميزان الشعراء وتثبيت النظام. منه نسخة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.
- مرة أخرى.. بقي نشوانُ فكرًا وروحًا في وجدان اليمنيين، فيما هلك الطاغية أحمد بن سليمان بكهنوته ودجله وظلمه.
- لقد مثل نشوانُ شعلة متقدة في ليل الجهل الحالك حينها، وظلت نتاجاته العلميّة متقدةً في وجدان كثيرٍ من الناس من بعده؛ إذ انتشرت بينهم كثيرًا، الأمر الذي جعلَ ابن حمزة - وهو الإمام الطاغية الذي تلا أحمد بن سليمان، بعد فترةٍ فاصلة بينهما، ٥٨٣ - ٦١٤هـ - يكرس كثيرًا من رُدوده شعرًا ونثرًا على فكرٍ وفقهٍ نشوان الذي

توفي قبله، وترك إرثاً كبيراً كتب له البقاء إلى اليوم.  
ومن ضمن ما ردّ به السّفاح ابنُ حمزة قصيدته  
«الأرجوزة» على نشوان، وادعائه الإمامة، بقوله:

ما قولكم في مؤمنٍ صوّامٍ  
مُوحِّدٍ، مجتهدٍ، قوَّامٍ

حَبْرٍ بكلِّ غامضٍ علّامٍ  
وذكرُهُ قد شاع في الأنعامِ

بل هو من أرفع بيتٍ في اليمنِ  
قد استوى السرُّ لديه والعلنُ

وما له أصلٌ إلى آلِ الحسنِ  
ولا إلى آلِ الحسينِ المؤتمنِ

ثم انبرى يدعو إلى الإمامة  
لنفسه المؤمنة القوامة؟

أمّا الذي عند جدودي فيه  
فيقطعون لسنه من فيه

ويتمون جهرهً بنيه

إذ صار حقَّ الغير يدعيه

هل عرفنا الآن من هو نشوان الحميري؟!

أجل.. يمانيُّ فُح، معتزُّ بيمينته، مُتمم إلى وطنه، مفاخرٌ  
بما كسب آباؤه وأجداده من المجد الذي حققوه، لا  
بؤهم العرق الذي يدعيه غيره.

رُبَّ رجلٍ واحدٍ بأمة، وكأنني بالشاعر ابن دريد  
يقصده هو، بقوله:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ

وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمْرٌ عَنَا

وَلِلْفَتَى مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَتْ

يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا اقْتَنَى

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ

فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

إنه المصلح الديني، والثائر السياسي الذي نافح وكافح  
في سبيل قضيته الأم، ضد أسوأ كيانٍ عنصري على وجه

الأرض، الكيان الإمامي البغيض.  
إنه الرجلُ الخالد في ذاكرة الأمة لمواقفه الكبيرة التي  
تبناها حيًّا، فحفظته ميتًا..  
فهل ستتمثلُ مواقفه التاريخيّة العظيمة؟ وهل ستأسى  
بنشوانِ علمًا وعملاً؟!  
هذا ما يجبُ أن يكون.



---

## الفهرس

٧	البدايات الأولى
١٦	الهجرة إلى صنعاء
١٨	نشوان في صنعاء
٢٣	نشوان في وقش
٢٧	تنقلاته
٢٩	عودته إلى صنعاء
٣٠	دعوته
٣٨	نشوان والرحيل القسري
٤١	قطاع الطريق
٤٢	وفاته
٤٣	نشوان روح خالدة وفكر متجدد

تم بحمد الله



